الأحد 27/1/2012 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

الأربعين النووية

يا ابن آدم إنك ما دعوتني

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ, إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي.**

يَا ابْنَ آدَمَ, لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ.

يَا ابْنَ آدَمَ, إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً))، [رواهُ التِّرْمِذيُّ, وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ صحيح].

ختم الإمام النووي الأربعين النووية بهذا الحديث، وفيه وصف عن سعة مغفرة الله عز وجل.

قال العلماء: هذا الحديث أرجى حديث في السنة.

((**يَا ابْنَ آدَمَ, إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي**)).

لله عز وجل أسماء وصفات كثيرة منها تسعة وتسعين اسماً كما ذكر بحديث عند الإمام الترمذي **وأسماء الله الحسنى تقسم لقسمين:**

1- أسماء فيها تجلي جلال: كاسم القهار والجبار والمنتقم والمذل والقابض والخافض... فتجد لهذه الأسماء تجلياً يوقع في القلب الهيبة والخوف من حضرة الله تعالى

2- أسماء فيها تجلي جمال: كاسم اللطيف والستار والغفور والودود والرحمن والرحيم... فتجد لهذه الأسماء تجلياً يوقع في القلب الأمل والرجاء بالله وحبه.

فلو قرأتم هذه الأسماء لوجدتم أن الأسماء التي تحمل طابع تجلي الجمال أكثر بكثير من الأسماء التي تحمل طابع تجلي الجلال.

فهناك إشارة واضحة بأن الله عز وجل يريد من العبد أن يكرمه وأن يعطيه وأن يمنحه من هباته ما الله به عليم.

إن من أسماء الله تعالى (الغافر، والغفَّار، والغفور) وكلهم مشتقون من المغفرة، والحديث يقول: ((يَا ابْنَ آدَمَ, إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي))، فما الاختلاف بينهم؟

المغفرة في اللغة: الستر، فيقال للباس الذي يرتديه المقاتل على رأسه مغفر؛ لأنه يستر وجهه من أن يتلقى ضرب السيوف أو طعن الرماح.

والمراد بالمغفرة من الله تعالى: أن العبد إذا أذنب ذنباً يؤدي به إلى عقوبة، فإن الله الغفار حال بين العبد وبين العقوبة بستر، فالعبد إذا أذنب لا ينال عقوبة، وإنما تأتي مغفرة الله فتستر وتحول ما بين العبد وبين العقوبة.

أ. **الغافر:** اسم فاعل من غفر، وهو الذي يدل على الفعل وعلى من قام به ولو مرة واحدة، فلو أن أحدنا خبز خبزاً مرة واحدة لقيل له: خابز، فالله عز وجل غافر بمعنى أنه يغفر ذنب عبده وهو الوحيد جل جلاله من يفعل ذلك.

ب. **الغفار:** إذا كان الرجل يخبز الخبز في كل يوم، لقيل له: خبَّاز، فلئلا يقع في خاطر أحدهم أن الله لا يغفر لك إلا مرة واحدة؛ سمى نفسه غفاراً، إشارة إلى أنك مهما أكثرت من الذنوب فالله غافر وغفَّار، فالعبد ظلام والرب غفار.

ومن أجل هذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً))، [البخاري].

وبرواية الإمام أحمد: ((كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ)).

فهناك تصريح واضح بأنك لو أذنبت في اليوم مئة ذنب ورجعت إلى الله تسعاً وتسعين مرة فلا تستحي أن ترجع المرة المئة، فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أعلى الخلق وأشرفهم وأقربهم إلى الله يخبرنا أنه يرجع إلى الله في اليوم مئة مرة.

العبد أحياناً إذا أذنب الذنب واستغفر، ثم زلت قدمه وأذنب واستغفر، ثم زلت قدمه وأذنب واستغفر، ثم زلت قدمه أتاه الشيطان فقال له: أتريد أن ترجع إلى الله؟! ألا تستحي من الله أن ترجع، كم مرة رجعت ونكست؟! كم مرة قلت سأعود إلى الخير وانقلبت على عقبيك؟! فابق في مكانك.

فالله الغفار يغفر لك الذنب ولو كثرت ذنوبك ووصلت لمئة مرة، بل أكثر من هذا فإن الحديث يقول: ((إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي)).

ت. **الغفور:**

إن الذنوب درجات:

- ✓ فهناك الكبائر: وهي أنواع:

فهناك أكبر الكبائر فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكَبَائِرِ ؟ قَالَ:** ((الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ))، [البخاري].

وهناك كبائر.

- ✓ وهناك الصغائر: وهي أيضاً درجات.

فالغفار: هو الذي يغفر الذنوب الكثيرة من طبقة واحدة، فصار اسم الله تعالى الغفار متعلق بالكم (كم الذنوب)، فلو أذنبت مئة مليار ذنب فالله غفار.

والغفور: هو الذي يغفر الذنوب الكثيرة ومن طبقات مختلفة سواء أذنبت ذنباً من أكبر الكبائر أو صغيراً أو من اللَّمم فإن اسم الغفور يحيط بذنوبك ويغفرها لك ويستر ما بينك وبين العقوبة، ونرى أن اسم الله الغفور متعلق بالكيف، فلو أذنبت ذنباً صغيراً أو كبيراً فالله يغفره بشرط أن ترجع إلى الله تعالى.

العبد ظالم والرب غافر، العبد ظلام والرب غفار، والعبد ظلوم والرب غفور.

((يَا ابْنَ آدَمَ, لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ)).

العنان: هو السحاب، وقيل: هو أقصى ما يصله البصر من السماء.

((يَا ابْنَ آدَمَ, إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً)).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : وَاذُنُوبَاهُ.. وَاذُنُوبَاهُ.. فَقَالَ هَذَا الْقَوْلَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** ((قُلِ: اللَّهُمَّ مَغْفِرَتِكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي، وَرَحْمَتَكَ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي)) **فَقَالَهَا, ثُمَّ قَالَ:** ((عُدْ)) **فَعَادَ, ثُمَّ قَالَ:** ((عُدْ))، **فَعَادَ، فَقَالَ:** ((قُمْ فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ)).

[الحاكم والبيهقي].

يا أيها الإخوة القارئ في آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وتعاليم هذا الدين يلمس بأن الله خلق الخلق ليربحوا عليه لا ليربح عليهم، والله يعلم أن العبد يخطئ وأنه لا يستقيم على حال وهو ما بين إقبال وإدبار، لكن الله يريد منك أن لا تنزل تحت الخط الأحمر.

عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ -وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: **لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟! قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَ اللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وَمَا ذَاكَ؟)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))**، [مسلم].

طبيعة الإنسان أنه لا يستطيع أن يستقر على حالة واحدة من الإقبال، وأنه يقبل إقبالاً شديداً ثم يتراجع، ثم يقبل ثم يتراجع، يحضر في مجلس علم ثم يخرج مندفعاً للإقبال على الله والطاعات، ثم يخفت هذا الإقبال.

لا حرج أن تقبل أو تتراجع، أن تتقدم أو تتأخر، لكن أطلب منكم أن لا تنزلوا تحت الخط الأحمر، فلا بأس أن يكون المنحني البياني لديك يصعد وينزل، لكن ضعوا لأنفسكم خطاً أحمراً لا تنزلوا تحته، وإذا -لا سمح الله- نزلت تحته فارجع واصعد فوقه مباشرة.

إذا استقر في عقولنا وأخلاقنا وأفكارنا هذا الخط الأحمر وما استفدنا من الأربعين النووية إلا هذه الفائدة لاستفدنا إفادة كبيرة.

وهذا الخط الأحمر مؤلف من أربعة أشياء:

1- **ترك الحرام**: فالحرام خط أحمر، فلا ترض أن تنزل تحته، قل لنفسك ما كان يقوله الصالحون لأنفسهم: **(أما الحرام فالممات دونه)**.

يا أيها الشاب مت ولا تقرب فتاة بالحرام، ولئن مت ووقفت بين يدي الله تعالى وقال لك: يا عبدي لم مت؟ فقل: يا رب مت لئلا أقرب الحرام.

والحق أن هذا الوهم الذي يضعه الشيطان أمام مخيلة كل واحد بيننا فيقول له الشيطان: يا أيها الشاب أنت إن عشت كل عمرك فلن تستطيع الزواج أبداً، فنقول لكم: يا أيها الشباب الذين لم تتزوجوا بعد، فنحن الذين تزوجنا كلنا كان الشيطان يقول لنا نفس الكلام، الغني فينا والفقير، الوجيه فينا والوضيع، من كان له إرث ومن لا إرث له، قال لهم نفس الكلام.

الآن المسؤول عن النفقة على أسرة تحدثه نفسه أنني أريد آخذ المال الحرام ليس لأجلي، بل لأجل زوجتي وأولادي، فو الله لو ترك آكل الحرامِ، الحرامَ لحظة لأكله بالحلال، فما قدر لماضغيك أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه.

فلو قدر أن تشرب من هذا الكأس فستشرب منه بعز عزيز أو بذل ذليل فاشربه بالحلال ولا تشربه بالحرام، إن قدر لك أن تأكل هذا الرزق لأكلته ولو صبر آكل الحرام على الحرام لحظة لأكله بالحلال إن كان مقدراً وإن كان غير مقدر فلن يأكله لا بحلال ولا بحرام، لا حرج أن تقبل أو أن تدبر، أن تتقدم أو أن تتأخر، أن تسرع أو أن تتباطأ، لكن لا تنزل تحت الخط الأحمر.

2- **إتقان الفرائض:** ممكن أن لا تصلي السنن أبداً بسبب من الأسباب، لكن لا عذر للفرائض أن تتركها.

يمكن أن لا تؤدي شيئاً من الصدقات النافلة فلا مشكلة، لكن الزكاة لا عذر لك بتركها.

ربما لا تصوم نافلة أبداً، لكن لا عذر لك بترك صوم رمضان.

يمكن أن لا تعتني بأي يتيم في حياتك، لكن لا عذر أن لا تعتني بأولادك وتنفق عليهم.

ربما أن لا تبر أي رجل مسن في عمرك، لكن لا عذر لك في بر والديك.

غالب نفسك وجاهدها واضغط عليها حتى تستقيم على الفرائض، ولا تنزل تحت هذا الخط الأحمر.

((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ))، [البخاري].

3- **أداء ما استطعت من النوافل:**

أنصحك أن تصوم ولو يوماً كل ثلاثة أشهر فلا تبق نفسك جافاً.

تكلم إنساناً عن الله أو عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلا يرق قلبه أو يتأثر، يقرأ القرآن ولا يخشع، يحضر جلسة ذكر ولا يفهم شيئاً.

مرة كنا في ليلة قدر وبعد الليلة أتاني إنسان فقال لي: حضرت معكم ليلة القدر فإن علمت أن هذا الجدار فهم شيئاً فقد فهمت، أنظر عن يميني وعن شمالي فأراهم يبكون، وأجد رجلاً خلفي يبكي بشدة كبيرة وهممت أن أسأله ما بك؟!

هذه النوافل تجعل قلبك نديّاً.

ألا تعجبون من أخ أو أخت في كل شهر يرى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في الرؤيا وأنت في عمرك كلها لم ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ألا تعجبون من إنسان يقول أقرأ صفحة من القرآن فيقشعر كل بدني.

أحدهم يقول صليت ركعتين وسجدت لساعة ولم أستطع أن أرفع رأسي، وأنت تسجد مثل نقر الديك.

بعض الناس إذا قلت لهم اسم الله ثلاث مرات يبكي، وترى العبرة تكاد أن تخنقه.

النوافل هي من تجعل قلبك غضاً طرياً يستقبل أنوار الله عز وجل.

4- مجلس علم في الأسبوع:

أقل شيء يتوجب على المسلم أن يكون له مجلس علم واحد في الأسبوع ليذكرك بترك الحرام، فأنا وأنت ننسى وما سمي الإنسان إنساناً إلا من النسيان، فيأتي مجلس العلم ليعيدك للذكرى والله قال لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾، [الغاشية: 251].

ومعنى كلمة فذكر: أي كمن يريد أن يذكرك بموعد غداً في الساعة الثامنة، فأنت تعرف وبلغتك الدعوة، لكن مهمتي هي التذكير، وما المذكرات بالنسبة إلينا؟ هي مجلس العلم.

مرة قال لي بعض الإخوة: إنني أخاطب نفسي فأقول: أنت لا تستحق دخول المسجد فاذهب واجلس مع الناس الأشرار فأهل المسجد كلهم أولياء، وعندما تجد نفسك جيداً فتعال واجلس معهم.

لو فعل أحدنا أكبر الكبائر فلا يترك المسجد أو مجلس العلم أو صحبة الصالحين؛ لأن المسجد مشفى والمشفى يدخلها المرضى، وكلما ازداد المرض لاحتاج المريض للمشفى أكثر، أما إذا أبى المريض أن يذهب إلى المشفى؛ لأن فيه أطباء وطهارة ونقاء، لبقي حياته كلها في مرضه.

الشيطان يحاول أن يستحوذ على المرء وأن يسحبه إلى طريق الخير فيأتي مجلس العلم ليذكرك يا ابن آدم، ((إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي)).

يا أيها الإخوة لا حظ العلماء أن هناك صلة وعلاقة بين التوبة والاستغفار، والحديث هنا يتحدث عن الاستغفار، فبمجرد أن تقول يا رب أنا عائد إليك، رجائي بك رجاء كبير، لي فيك أمل أن تقبلني، فالله يقول: ((غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي)).

فالحديث يتكلم عن الاستغفار، والاستغفار هو طلب المغفرة فربط العلماء الآيات التي تتحدث عن الاستغفار مع ذكر التوبة.

قال الله تعالى ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، [المائدة:74].

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ ، [هود: 3].

فالاستغفار: أن تطلب من الله المغفرة بلسانك.

أما التوبة: فهي أن تقلع عن الذنب الذي استوجبت به العقوبة.

القرآن يربط بين الاستغفار والتوبة، وأحياناً تذكر الأحاديث أو القرآن الاستغفار أو التوبة وحدهما دون ذكر الآن، فمهما ذكر الاستغفار أو التوبة لوحدهما فالمراد هو الجمع بينهما، فهذان أمران إذا افترقا اجتمعا، فلا يكفي أن تقول بلسانك: أستغفر ثم تبقى قابعاً على الذنب.

جاء في بعض الآثار: (**المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه**)، فكأن إنساناً يمسك كأس الخمر وهو يقول: أستغفر الله العظيم ثم يشرب من الكأس.

وروي عن حذيفة أنه قال: (**يحسب من الكذب أن يقول أستغفر الله ثم يعود**).

فاقرن هذه المغفرة بالإقلاع عن الذنب.

جعل العلماء للتوبة شروطاً:

1- أن يكون بينك وبين الله أو بينك وبين الناس:

أ. **أن تقلع عن الذنب**: فلو كان إنساناً تاركاً للصلاة فشرط توبته أن يقلع عن الذنب من خلال عودته للصلاة وقضاء ما فاته من صلوات.

رجل لا يدفع الزكاة فيحتاج أن يستغفر الله ويبدأ بدفع الزكاة عن هذا العام، وعن ما فاته من أعوام.

ب. **العزم على عدم العودة**: عليك أن تتوب الآن ثم إن زَلَّت قدمك فلا مشكلة لكن تب فوراً؛ لأنك غير ضامن أن تحيا لغد.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**الْمُؤْمِنُ وَاهٍ رَاقِعٌ ، فَسَعِيدٌ مَنْ هَلَكَ عَلَى رُقْعَةٍ**))، [البيهقي والطبراني].

ت. **الندم على ما فات:** قال أهل التربية الروحية: لو أن رجلاً عبد الله تعالى حياته كلها ثم غاب عنه لحظة لكان ما فاته أكثر مما حصله.

فما بالك إذا كان أحدهم غائباً عن الله عشرين أو ثلاثين أو أربعين سنة؟

أهل القرب والوصال مع الله عز وجل يقيسون علاقتهم مع الله بموازين أدق من موازين الذهب.

الثلاثة الذين خلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك والقصة مشهورة ثم نزلت عليهم توبة فكان صفتهم في القرآن ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ فما بالك بإنسان غاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين أو أربعين سنة؟!

ابك على ما فاتك من قرب لله تعالى، وقد كان من الممكن في هذا الزمن الذي قضيته في معصية أن تكون فيها في طاعة تقربك من الله عز وجل.

2- **إذا كان الذنب بينك وبين العباد:** هناك زيادة على هذه الثلاثة:

ث. **رد الحقوق إلى أصحابها:** فلا بد ممن أراد التوبة أن يعيد الحق لأصحابه.

أحد الإخوة كان ذاهباً للحج وفي المطار شاهد أحد أصحابه في المطار فقال له: أتريد الذهاب للحج؟ قال: نعم، قال: لكن لي بذمتك 90,000 ليرة من ست سنوات! فقال له: ألم تنسهم؟! قال: لا..! قال: فسامحني إذاً، قال: كيف سأسامحك ولم تعدهم إلي؟! لن أسامحك حتى تعيدهم، فقال: سأدعو الله في الحج حتى يسامحني.

إن الله لن يسامحه حتى يرد للعباد حقوقهم ثم يستغفر الله.

أحياناً يسألني إخوة فيقولون: كنت أعمل في مكان معين فأخذت منه مالاً ليس لي فكيف لي أن أتوب وقد كان هذا الأمر من عشر سنوات؟

تمام التوبة بأن ترد لهم المال، ومن يخجل أو يخاف من إعادته فليضع هذا المال الذي أخذه في ظرف وليوصله إليه بطريقة من الطرق، أو قدمه له كهدية في إحدى المناسبات، أو أوصلها من خلال طرف ثالث، لكن المهم أن تعاد الحقوق إلى أصحابها.

أخ يأكل ميراث أخته فيحتاج لتوبة بأن يعطي لأخته حقها من الميراث، فإن لم يكن يملك فليذهب لها وليقل لها: لكِ بذمتي مبلغ الإرث وفي أقرب وقت سأرده لك.

عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَوَجَدْتُهُ مَوْعُوكًا قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: ((خُذْ بِيَدِي يَا فَضْلُ)), فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمِنْبَرِ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ((صِحْ فِي النَّاسِ)), فَصِحْتُ فِي النَّاسِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، أَلا إِنَّهُ قَدْ دَنَا مِنِّي حُقُوقٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرَهُ فَهَذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ، أَلا وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضًا فَهَذَا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ، أَلا لا يَقُولَنَّ رَجُلٌ إِنِّي أَخْشَى الشَّحْنَاءَ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلا وَإِنَّ الشَّحْنَاءَ لَيْسَتْ مِنْ طَبِيعَتِي وَلا مِنْ شَأْنِي، أَلا وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيتُ اللَّهَ وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ، أَلا وَإِنِّي لا أَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مِرَارًا))، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَعَادَ لِمَقَالَتِهِ فِي الشَّحْنَاءِ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ قَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَرُدَّهُ وَلا يَقُولُ فُضُوحَ الدُّنْيَا، وَإِنَّ فُضُوحَ الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ فُضُوحِ الآخِرَةِ))، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي عِنْدَكَ ثَلاثَةَ دَرَاهِمَ، قَالَ: ((أَمَا إِنَّا لا نُكَذِّبُ قَائِلاً وَلا نَسْتَحْلِفُهُ، فَبِمَ صَارَتْ لَكَ عِنْدِي؟)), قَالَ: تَذْكُرُ يَوْمَ مَرَّ بِكَ مِسْكِينٌ، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أَدْفَعَهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: ((ادْفَعْهَا إِلَيْهِ يَا فَضْلُ))، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: عِنْدِي ثَلاثَةُ دَرَاهِمَ كُنْتُ غَلَلْتُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ: ((وَلِمَ غَلَلْتَهَا؟)), قَالَ: كُنْتُ إِلَيْهَا مُحْتَاجًا، قَالَ: ((خُذْهَا يَا فَضْلُ)) ، ثُمَّ قَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ خَشِيَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا فَلْيَقُمْ أَدْعُو لَهُ))، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَكَذَّابٌ، وَإِنِّي لَمُنَافِقٌ، وَإِنِّي لَنَئُومٌ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ صِدْقًا، وَإِيمَانًا، وَأَذْهِبْ عَنْهُ النَّوْمَ إِذَا أَرَادَ)) ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَكَذَّابٌ، وَإِنِّي لَمُنَافِقٌ، وَمَا شَيْءٌ مِنَ الأَشْيَاءِ إِلا وَقَدْ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا هَذَا، فَضَحْتَ نَفْسَكَ، فَقَالَ: ((مَهْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فُضُوحُ الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ فُضُوحِ الآخِرَةِ))، ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ صِدْقًا، وَإِيمَانًا، وَصَيِّرْ أَمْرَهُ إِلَى خَيْرٍ)), فَكَلَّمَهُمْ عُمَرُ بِكَلِمَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((عُمَرُ مَعِي وَأَنَا مَعَهُ، وَالْحَقُّ بَعْدِي مَعَ عُمَرَ حَيْثُ كَانَ))، [الطبراني].

جمع العلماء فضائل لكثرة الاستغفار:

فقولك أستغفر الله نافع في اقترانه مع التوبة، وهو يحرض لديك لتقوم بفعل ما تقضيه التوبة عليك.

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: ((وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً))، [البخاري].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ))، [مسلم].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ يَقُولُهَا قَبْلَ أَنْ يَقُولَ شَيْئًا**: ((رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))، [الترمذي].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((مَنْ أَكْثَرَ الاسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ))، [الحاكم وأبو داود].

عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا))، [ابن ماجه والنسائي والطبراني].

قال أبو المنهال: (**ما جاور عبد في قبره من جار أحب إليه من استغفار كثير**)، [جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي].

قال قتادة: (**إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم: فالذنوب، وأما دواؤكم: فالاستغفار**)، [جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي].

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، إِذَا قَالَ حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلَهُ))، [البخاري].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.